

سلسلة كتب الإسلام ووطن  
الكتاب الأول بعد المائتين

# القرآن والآيات والآيات

الجزء الثاني

د. نور الدين أبو حية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير والاقتباس  
والترجمة والنقل محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

الطبعة الأولى

رَبِيعُ أَوَّلٍ ١٤٣٨ هـ - ديسمبر ٢٠١٦ م

عنوان الكتاب	القرآن والأيدي الآتمة
المؤلف	أ.د. نور الدين أبو لحية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب
رقم التليفون	٠٢/٢٣٩٠١٠٣٠

## العلم.. والخرافة

تشكل المعارف العلمية المختلفة ركناً مهماً من أركان القرآن الكريم، لا يمكن لمن يريد أن يلمس القرآن بطهارة إلا أن يراعيها، ويهتم بها، ويبحث عنها، ويبحث فيها.. فالله تعالى لم يذكرها عبثاً، ولم ينزلها لمجرد أن نتعبد بتلاوتها، وإنما أنزلها لنبحث فيها، ونتدبرها، ونثبرها.

وهذا الركن المهم من القرآن الكريم ليس قليلاً أو هيناً حتى لا يرمى من لم يهتم به بالتقصير.. بل إنه يشكل ما يقارب خمس القرآن الكريم، فهناك أكثر من (١٢٠٠) آية قرآنية على الأقل تشير إلى المعارف العملية المختلفة.

وكل آية منها تشير إلى حقائق الوجود الكبرى التي استغرقت من البشر قروناً طويلة للوصول إليها.. ولكن القرآن الكريم يعطيها لنا بسهولة ويسر، ويربطها بحقائق الوجود جميعاً.

ولو أن الأمة أعملته في هذا الجانب، وتركت تلك التفسيرات التقليدية التي استندت إليها من موروثاتها البيئية أو الخرافية لكان السبق للأمة الإسلامية في جميع المجالات..

لكن – للأسف – سيطرت الخرافة على الحقيقة في تعامل الكثير مع القرآن الكريم، وخصوصاً التيار السلفي.. الذي لم يكتف بأن يفرط في البحث عن حقائق الكون والعلوم المختلفة من خلال القرآن، بل راح يذم كل من يقوم بهذه الوظيفة، ويؤدي هذا الواجب نيابة عنه. ولم يكتف بذلك أيضاً، بل راح في هذا العصر الذي فتح الله فيه أبواب المعرفة العلمية على عباده، يخلق بشدة هذه الأبواب، ليعود للخرافة، ويفسر بها القرآن، ويفسر بها الدين جميعاً.

سأحكي لكم نبأ مدرستين زرتهما، قد تشرحان بطريقة أوضح ما قامت به الأيدي الملوثة من تحريف القرآن الكريم، ومن تحويله من أكبر كتاب علمي عرفته البشرية إلى أكبر كتاب خرافة.

## **العلم:**

دخلت المدرسة العجيبة في شكلها ومحتواها.. المدرسة التي أطلق عليها أصحابها (مدرسة علوم القرآن).. وقد خطر على بالي بمجرد أن رأيت العنوان أنني سأرى من أقسامها (الناسخ والمنسوخ) و(المكي

والمدني) و(الأشباه والنظائر) و(مبهمات القرآن)..  
وغيرها من العلوم التي نجدها عادة في الكتب  
المتخصصة في علوم القرآن..

وكنت أتصور كذلك أنني سأرى أساتذة مثل السيوطي  
والزرقاني والزرکشي والذهبي والقطان وغيرهم ممن  
صنفوا في هذه العلوم.

لكني لم أر شيئاً من ذلك.. بل رأيت عناوين غريبة  
كـ (الكون في القرآن)، و(الصحة في القرآن)، و(علوم  
الأرض في القرآن).. وغيرها من العناوين الغريبة..  
وهذا ما دعاني إلى التأكد من كوني حقيقة في مدرسة  
تبحث في علوم القرآن.. وقد وجدت الجميع يؤكد لي  
ذلك، ويؤكد لي أن جميع من في هذه المدرسة من  
المختصين في هذه المعارف، وأنهم ينهلون الحقائق من  
بحر القرآن العذب، الذي هو المعجزة الكبرى، والذي هو  
الكتاب المقروء والمسطور والحقيقة المطلقة.. كما  
ينهلونها من الكتاب المفتوح والمنظور الذي هو الكون بما  
فيه.

أردت الدخول إلى قسم (الكون في القرآن)، فنهاني

المشرفون على المدرسة، وقالوا لي: أنت جديد هنا، ولذلك لا يحق لك أن تدخل أي قسم من أقسامها قبل أن توصل للأسس التي تقوم عليها.. فلا يحل لامرئ أن يقدم على أمر قبل أن يعلم حكم الله فيه.

لم أجد إلا أن أخضع لهم، فجلست في حلقة من الحلقات، وكان يلتف فيها بعض التلاميذ حول بعض الأساتذة..

كان الشيخ يقرأ قوله تعالى: ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣) بهدوء، ويقف أمام كل كلمة، وكأنه ينبه التلاميذ إلى ضرورة تدبرها والاهتمام بها.

بعد أن انتهى من القراءة، قال: أظن أن الآية الكريمة واضحة في الدلالة على وعد الله لعباده بأن يكشف لهم حقائق الآفاق والأنفس.. وواضحة في الدلالة على أنه في ذلك الحين سيتبين للناس أن الحقائق التي نطق بها الكريم حقائق صحيحة.. وسبب ذلك أن الله على كل شيء شهيد.. ولذلك يستحيل أن تتناقض المعارف المكتشفة مع

المعارف التي أنزلها الله على عباده في كتابه.

لقد أشار الله إلى هذه الحقيقة في آية أخرى، فقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٩٣).

بل أخبر في مواضع مختلفة أن الزمن كفيل بأن يوضح من الحقائق القرآنية ما لم يكن مدركاً في الزمن الذي أنزل فيه القرآن، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٦٧)، وقال: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص: ٨٨).

وهذا كله يدل على أننا نعيش في فترة الوعد الإلهي، وأننا لا ينبغي أن نتخلف أبداً عن استخدام حقائق القرآن الكريم وموافقها للمعارف العلمية المختلفة لهداية الناس إليه.. فقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك، فقال: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

بل أشار الله تعالى إلى تأثير الحقائق القرآنية في هداية

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

أهل العلم، فقال: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ: ٦).

قال تلميذ من التلاميذ الملتفين حوله: اسمح لنا سيدي أن نطرح عليك بعض الشبهات التي يعرضها علينا تلاميذ المدرسة الأخرى الذين يرون أن الحقائق القرآنية كلها اتضحت من القرون الثلاثة الأولى، وأنه لا يحق لأحد مهما كان أن يتدخل في تفسير القرآن إلا إذا كان من أهل القرون الأولى، أو من تبعهم وسار خلفهم.

قال الشيخ: اذكر ما بدا لك.. فأنا أعرف جيداً شيوخ تلك المدرسة، وأعلم أنهم العقبة الكبرى التي تحول بين وصول حقائق القرآن إلى العالم..

قال التلميذ: إنهم يثبطوننا عن المعارف العلمية التي نتناولها في هذه المدرسة من الطب والفلك وغيرها.. ويذكرون لها أنها علوم دنيوية، ولا علاقة لها بالدين، ولا ثواب لمن تعلمها، ولا علاقة لها بالقرآن الكريم..

ابتسم الشيخ، وقال: أمهلني يا بني.. أنت ذكرت شبهاً كثيرة.. وقد تعلمنا أن نفكك القضايا، ولا نضعها جميعاً



في سلة واحدة.

قال التلميذ: فأجبني أولاً عن حديث القرآن الكريم عن العلم.. هل هو خاص بالعلم الديني الشرعي من الفقه والتفسير ونحوهما، أم أنه يشمل جميع المعارف العلمية؟.. فهم ينطلقون من هذا في التحذير من سائر العلوم، ومن ربطها بالقرآن الكريم.

قال الشيخ: إن العلم في القرآن الكريم يشمل كل حقائق الوجود ابتداء من أعظم حقيقة، وهي الله سبحانه وتعالى، فالله تعالى لا يأمرنا أن نعبده فقط، بل يأمرنا قبل ذلك أن نعرفه عن بصيرة وبرهان، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩).

وقد أخبر عن أصناف عباده العارفين به، فذكر منهم أولو العلم، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨).

وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالنظر في كل الكائنات التي أبدعها لنزداد قرباً منه، ومعرفة به، وخشية له، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ  
وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ  
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ  
الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿فاطر: ٢٧، ٢٨﴾.

انظر.. كيف أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر خشية  
العلماء لله أثناء ذكره لأحكام الشريعة، وإنما ذكرها في  
معرض بيان آياته في السموات والأرض، ليبين أن كمال  
الخشية يكون في تلك الرؤية المفصلة لآيات الله في  
الكون.

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى عندما ذكر أولي الألباب،  
وتوجههم إلى الله بالعبودية قدم الفكر في السموات  
والأرض على الذكر والعبادة نفسها، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي  
الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠).

بل إننا لو طبقنا مقاييس الفقهاء والأصوليين على  
الآيات الكريمة التي تتعلق بهذه الجوانب، فإننا نجد الحكم  
بالوجوب على تعلم هذه الحقائق، فالله تعالى يأمر فيها  
عباده بالنظر والتفكير في كونه، قال تعالى أمرًا بالنظر:

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يونس: ١٠١)، وقال أمرًا بالسير: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

قال التلميذ: لا يستطيع أحد أن يجادلك في هذا.. لكنهم يذكرون أنه لا علاقة لهذه العلوم بالقرآن الكريم.. وإن إدخالها فيه، أو ربطها به انحراف عن الغرض الذي أنزل من أجله القرآن الكريم.

قال الشيخ: وهل عرفوا الغرض الذي أنزل من أجله القرآن الكريم؟

قال التلميذ: هم يذكرون أنه توحيد الله وعبادته.

قال الشيخ: أليس من توحيد الله ما يسمونه (توحيد الأفعال)، وهو اعتقاد أن كل ما يحدث في الكون من أحداث هو من فعل الله؟

قال التلميذ: بلى.. هم يقولون بذلك.. ويحكمون بالشرك على من يخالفه.

قال الشيخ: فأخبرهم بأن دور كل العلوم التي يجحدونها هي الكشف عن تفاصيل تدبيرات الله في خلقه.. لقد ذكر كل العقلاء هذا..

انظر مثلاً إلى الغزالي الذي مر على وفاته قرون عديدة كثيرة، ومع ذلك، فقد ذكر في كتابه (جواهر القرآن) قبل أن تفتح خزائن العلوم التي فتحت في عصرنا أن العلوم كلها متشعبة من القرآن، فقال: (ثم هذه العلوم ما عدناها وما لم نعدنا ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له، وأن البحر لو كان مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد)<sup>(١)</sup>.

ثم ضرب أمثلة على ذلك، ومنها: (الشفاء والمرض، كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينُ﴾ (الشعراء: ٨٠)، وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله، إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء وأسبابه)<sup>(٢)</sup>.

ومنها: (أفعاله تبارك وتعالى في تقدير معرفة الشمس

---

(١) جواهر القرآن (ص: ٤٥).

(٢) جواهر القرآن (ص: ٤٥).

والقمر ومنازلهما بحسبان، وقد قال الله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن: ٥) وغيرها من الآيات.. ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان، وخسوفهما وولوج الليل في النهار، وكيفية تكور أحدهما على الآخر، إلا من عرف هياكل تركيب السماوات والأرض، وهو علم برأسه<sup>(١)</sup>.

وهكذا ذكر أنه لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)﴾ (الانفطار: ٦ - ٨) إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً، وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها، وقد أشار في القرآن في مواضع إليها، وهي من علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين<sup>(٢)</sup>.

قال التلميذ: هم يعرضون علينا أيضاً أقوال مشايخهم وخاصة من يسمونه شيخ الإسلام.. وتلاميذه..

---

(١) جواهر القرآن (ص: ٤٥).

(٢) جواهر القرآن (ص: ٤٦).

قال الشيخ: الحجة في القرآن الكريم لا في غيره..  
والغزالي بشر كسائر البشر، وما ذكرته لك من باب  
الاحتجاج، وإنما ذكرته من باب المثال على من يعطي  
القرآن الكريم حقه من التقديس والتعظيم والتفعيل في  
جميع جوانب الحياة.. والأمثلة غيره كثير من السلف  
والخلف.

قال التلميذ: هناك شبهة أخرى يعرضونها علينا، أو  
يعرضها علينا من هو قريب منهم.. حيث يذكرون أن  
غيرنا يعمل ويبحث ونحن نأتي ونقول لهم: لقد سبق  
القرآن إلى ذكر هذه الحقيقة.

قال الشيخ: عدم العمل والبحث مشكلة أخرى، ولكنها  
لا تعالج بترك القرآن، وعدم التدبر في حقائقه، وعدم  
ربطها بالعلوم المختلفة، وإنما تعالج بتطبيقه وتفعيله في  
جميع جوانب الحياة..

ثم ألا ترى أن الله تعالى أمرنا بالجهاد بالقرآن  
واستعماله كوسيلة للدعوة إليه؟

قال التلميذ: بلى.. وقد قال تعالى في ذلك: ﴿فَلَا تُطِعِ  
الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢).

قال الشيخ: فأجيني: أرأيت لو أن دولة كان لها أسلحة متطورة كثيرة لم تكشف عنها لأعدائها، فلم يعرفوا أسرارها، ولا أنواعها، ولا أنواع القوة التي تحملها، فلذا كلما قدم أعداؤها سلاحاً، كلما وجدوا عندها من الأسلحة ما يفوق ذلك السلاح.. أذلك خير أم دولة ليس لها من السلاح إلا ما تسلح به سلفها، وليس لها من القوة إلا ما ورثته، فأيهما أقوى قوة؟

قال التلميذ: لا شك أنها الدولة الأولى.

قال الشيخ: فهكذا الأمر في القرآن الكريم بين من يقول بإطلاق الإعجاز فيه، وبين من يقول بتحديدته. من يقول بإطلاقه يجعل القرآن الكريم كلام الله كنزاً من كنوز العجائب والمعجزات، ومن يقول بمحدوديته لا يراه إلا كما يراه ذلك البدوي البسيط.. يراه من خلاله عنزاته وناقته وخيمته.

بقيت في تلك المدرسة مدة أتقنه على مشايخها، وأدرس العلوم المختلفة التي تدرسها.. وقد استفدت من ذلك كثيراً.. وتعمق إيماني بالقرآن الكريم.. وذقت لذة المعرفة بالله وبكتابه، وصرت أرى الكون بصورة أخرى

أجمل وأكمل من التي كنت أراها به.

## الخرافة:

لكنني لفرط غبائي، أو لوسوسة الشيطان لي مررت ذات يوم على مدرسة الخرافة، فحدثتني نفسي أن أدخل إليها، وليتني ما أطعتها.. فقد حولت كل ما تزين في قلبي من زينة الإيمان إلى دمامة، وأبعدتني عن ربي وعن كتابه، ولم أتخلص من كل ذلك الركام الذي أحدثته في إلا بجهد جهيد.

وحتى لا يسرى لكم ما سرى لي من آثارها، سأقصر عليكم نماذج قليلة مما سمعته.. وما خفي أعظم.

قال الشيخ لتلاميذه: وهل ذكر لكم المنبهرون بالعلوم العصرية شيئاً آخر غير هذا؟

قال تلميذ من تلاميذه: أجل.. فقد مررنا عليهم البارحة، فوجدهم يرطنون ببدعة جديدة يفسرون بها قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧).

قال الشيخ: وما يقولون؟

قال التلميذ: هم ينقلون عن الكفرة بأنهم اكتشفوا أن



السماء تتوسع.. وأنهم أثبتوا ذلك بأدلة قطعية لا مجال للنظر فيها.

غضب الشيخ، وقال<sup>(١)</sup>: ويلهم.. كيف يتقون في الكفرة.. ومن أين للكافر أن يعرف السماء.. إن جميع المفسرين الموجودة تفاسيرهم في مكتبتنا العامة التي ورثناها عن آبائنا السابقين لا يفسرون الآية بذلك.. لقد قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والثوري، وغير واحد: {وإننا لموسعون} أي: قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد، حتى استقلت كما هي<sup>(٢)</sup>.. وهذا يدل على أن الله عز وجل قد خلق السموات وفرضها وأوسعها وفرغ منها، حتى جاء هؤلاء المخبولون يفسرونها بتفسير محدث يقتضي أن الله عز وجل لا يزال يزيد في السماء قليلاً قليلاً كحال من يعجز عن إيجاد الشيء دفعة واحدة..

إن قولهم هذا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).

---

(١) نقلنا هذه التفسيرات الخرافية للقرآن الكريم بتصرف من كتاب (الصبح

الشارق في الرد على توحيد الخالق) للشيخ السلفي يحيى الحجوري.

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٤٢٤).

قال تلميذ آخر: وقد مررت عليهم البارحة، فوجدتهم لا يزالون يرددون بأن الأرض تدور.. بل يحاولون أن يثبتوا ذلك من القرآن الكريم<sup>(١)</sup>..

قال الشيخ: ويلهم.. أوصلت بهم الجرأة إلى هذا.. أين عقولهم.. ألا يرون بعيونهم الأرض ثابتة لا تتحرك؟ ويلهم.. ألم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر: ٤١)، لقد قال جميع مفسري السلف رضوان الله عليهم: (ولو كانت الأرض تجري وتدور وتزول من مكان إلى آخر لكان هذا خلاف نص الآية الكريمة، والقائلون بالدوران يشككون في مثل هذه النصوص).

وقد ذكر رسول الله ﷺ بابًا بالمغرب مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ خلقه الله يوم خلق السماوات والأرض لا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ، حين أن يأمر الله بخروج علامات الساعة الكبرى.. وهذا الباب لا يدور تارة من الجنوب، وتارة من الشرق، وتارة من الشمال، وتارة ما بين ذلك، بل هو منذ

---

(١) انظر: الأدلة على هذا في كتابنا (معجزات علمية).

خلق السموات والأرض لا يزال عند جهة المغرب على ما خلقه الله، ولو كانت الأرض تدور لدار معها يوماً من الدهر إلى جهة أخرى لكنها ساكنة لا تتحرك.

ذلك لأن الله ثبتها بالجبال أن تميد بهم، ولو جعلها متحركة متزلزلة لما سكن الناس ولا هدأ لهم بال، بل تكون حياتهم الدنيا عبارة عن عذاب مستمر.. ألا ترون حين حدوث بعض الزلازل التي يخوف الله بها عباده في الأرض كيف تنهدم بيوتهم، وتزهق أنفسهم، وتتقلقل معيشتهم ويصبحون خائفين وجلين مذعورين حزينين<sup>(١)</sup>.

لقد قال الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي يذكر إجماع العلماء على ثبوت الأرض: (وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها خلاف قول من زعم من الدهرية أن الأرض تهوي أبداً؛ لأن الخفيف لا يلحق من هو أثقل منه في انحداره)

ثم قال: (وأجمعوا أن الأرض متناهية الأطراف من

---

(١) انظر: الصبح الشارق، وهداية الحيران في مسألة الدوران لعبد الكريم الحميد ص (٢١-٢٢).

الجهات كلها وكذلك السماء متناهية الأقطار من الجهات الست خلاف قول من زعم من الدهرية أنه لا نهاية للأرض، وأجمعوا أن السموات سبع طباق خلاف قول من زعم من الفلاسفة أنها تسع<sup>(١)</sup>.

قال تلميذ آخر: لقد لاحظت سيدي من خلال استراقي للسمع في مجالسهم أنهم يذكرون أن الأرض كوكب من الكواكب.

قال الشيخ: ويلهم.. ما أجرأهم على الله.. ألم يقرؤوا ما كتبه الشيخ محمد بن يوسف الكافي في رده على بعض أشياع محمد عبده المصري، حيث قال: (قوله: (هي كوكب) كذب وافتراء على الله تعالى من سماها كوكبًا؛ لأن الله تعالى الذي خلقها سماها أرضًا، والكوكب هو النجم ومحل العلو ومن صفاته الإضاءة والإشراق والأقول والطلوع والأرض بخلاف ذلك)<sup>(٢)</sup>.

قال تلميذ آخر: لقد رأيتهم يستدلون بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا

---

(١) الفرق بين الفرق، ص (٣٣٠-٣٣١).

(٢) انظر: الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة، ص (١١٧)..

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾  
(الأنبياء: ٣٠) على أن الجميع من السماء والأرض كان  
متصلاً بعضه ببعض متلاصقاً متراكماً بعضه فوق بعض  
في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، ويستدلون لهذا بما  
يقوله الكفرة.

قال الشيخ: ويلهم.. ألم يقرؤوا قول العلامة السلفي  
الكبير ابن كثير.. فقد ذكر في تفسيره (أن الأرض خلقت  
قبل السماء، ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء، بمعنى أنه  
أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل. وهذا معنى قول ابن  
عباس، وغير واحد، واختاره ابن جرير)<sup>(١)</sup>.

وقال في موضع آخر: (ففي هذا دلالة على أنه تعالى  
ابتدأ بخلق الأرض أولاً ثم خلق السماوات سبغاً، وهذا  
شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك، وقد  
صرح المفسرون بذلك)<sup>(٢)</sup>.

أما الآية الكريمة التي استدلوا بها، فأرجح التفاسير  
فيها أقوال ابن عباس وابن عمرو ومجاهد ابن جبر

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٨/ ٣١٦).

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٢١٣).

وغيرهم أن معنى (رتقاً) في الآية أي أن السماء كانت رتقاً لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بإنزال المطر منها، وفتق الأرض بإخراج النبات منها. قال تلميذ آخر: لقد سمعت البارحة من أحدهم قوله: (لقد كشف العلم الحديث أن الليل يحيط بالأرض من كل مكان، وأن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض ويمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد، وإذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة)، ورأيته يفسر بقوله هذا قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (يس: ٣٧)

قال الشيخ: ويله.. كيف استطاع أن يعرف سمك النهار، وأنه قشرة رقيقة تشبه الجلد، فإن المعلوم يقيناً أن الليل والنهار ليست له سماكة محسوسة بحاسة اللمس.. ثم إن المفسرين من سلفنا الصالح لم يفهموا هذا الفهم الذي فهمه هؤلاء الأساتذة الذين يتلمذون على اليهود والنصارى.

قال تلميذ آخر: لقد رأيتهم دائماً يرددون قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

الْحَقُّ أَوْلَمَ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾، ويستدلون بها على بدعهم.

قال الشيخ<sup>(١)</sup>: ألا يعلم هؤلاء الجهلة أن الوحي قد انقطع من السماء، وقد تبين الحق بالقرآن والسنة ولم يمت النبي ﷺ حتى بين للناس أعظم بيان وأقام عليهم الحجة؟ ألا يعرفون أن الله سبحانه قد أكمل دينه وأظهر الحق للناس، وأرانا آياته في الآفاق من ليل ونهار وأحجار وأشجار وأنهار وشمس وقمر ونجوم وسماء وأرض وغيرها من الآيات المشاهدة حتى في أنفسنا، ولم يحوج الله خلقه إلى هلوسة المستشرقين.

إن من اللوازم الخطيرة لاستدلالهم ذلك أن الله سبحانه لم يبين الحق لعباده من لدن رسول الله ﷺ حتى جاء صاحبنا وأساتذته وقرروا للناس أشياء في الكون يتبين للناس بها الحق، وتقوم عليهم بها الحجة التي لم تقم على من قبلهم لجهلهم ببيان الحق في القرون السابقة بعد البعثة النبوية إلى زمننا هذا، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الحجة لا تقوم إلا بعد بيان الحق للناس، كما قال تعالى:

---

(١) الصبح الشارق، ١٠٠ بتصرف.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ  
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ  
مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)، وقد استدلت السلف بهذه الآية  
وأمثالها على أن من لم يتبين له الحق والهدى لم تقم عليه  
الحجة.

ومعنى هذا أن الذين ماتوا على الشرك بالله، قبل أن  
يخلق هؤلاء الجهال الحمقى إن عذبهم الله يكون ظالمًا  
لهم.

بعد أن انتهى الشيخ من حديثه ضحك تلميذ بصوت  
عال، فغضب الشيخ، وقال: ويلك .. أتضحك على  
كلامي .. لأفعلن بك ولأفعلن.

صاح التلميذ: اعذرنى يا أستاذ.. فمعاذ الله أن أضحك  
على كلامك .. أتريدنى أن أقع في الكفر.  
قال الشيخ: فما الذى أضحكك إذن؟

قال التلميذ: لقد ذكرت أنى كنت مع بعض أولئك  
المبتدعة مرة، فسمعتهم يذكرون أن المسافة بيننا وبين  
الشمس (٩٣) مليون ميل، وأن الضوء يقطعها في ثمان  
دقائق ..



قال ذلك، ثم عاد للضحك من جديد، وضحك معه جميع الحضور إلا الشيخ فقد كان يمسك نفسه بشدة حتى لا يضحك معهم حرصاً على وقاره..

بعد أن سكتوا، قال<sup>(١)</sup>: هذه المسألة كسابقتها مبنية على التهوكات والتهويلات وإلا فإنكم تلاحظون أنه ما إن يخرج قرص الشمس من المشرق إلا وتمتلئ الدنيا بالضوء دون أقل من دقيقة واحدة، ولو أن الشمس كانت تحت السحاب، ثم تجلى عنها لرأيت أن الدنيا سرعان ما تضيء بدون تحديد أقصر زمن، وكذلك القمر.

فمن التخرص الذي لا يصدقه ذو عقل وبصر وفطرة سليمة أن يقال إن الشمس حين تطلع جلية من المشرق أو في السماء لا يصل الضوء إلى الأرض إلا بعد ثمان دقائق، وتبقى السماء صافية والشمس مضيئة مدة سبع دقائق والناس يشاهدون ذلك بين ظلمة الأرض وفي الدقيقة الثامنة يصل إليهم الضوء فتشرق الأرض.

انظروا إلى هذا الكلام السامح .. وانظروا كيف يقررون توحيد الله بأقوال الملاحدة الذين يحاولون إدخال

---

(١) الصبح الشارق، ص ١١٨.

الشكوك في قلوب جهال المسلمين وإضاعة أعمارهم في دراسة مثل هذا الهذيان الفارغ، بل الطعن في عقائد المسلمين وعلومهم والخط من قدر علماء الشريعة الإسلامية حيث لم يعلموا المسافة بين الشمس والأرض، ومن حسن حظهم أن تحصلوا على مجموعة خاوية من الحمقى والمغفلين يثبتون لهم هذه الأطروحات على أنها حقائق ويتعاونون معهم على الإثم والعدوان باسم الدين. فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وإن أرادوا أن الشمس لا تطلع والأرض مظلمة لكن عرفوا ذلك فيما يزعمون بسرعة الضوء ونحوه قلنا: كيف عرفوا ذلك، وأنى لهم أن يعرفوا المسافة بسرعة الضوء في الأرض، وأي ضوء وصل إلى الشمس وأضاء عليها على ذلك البعد الهائل من الأرض، فأف لمن رضي بالكذب وأف للكذابين.

قال تلميذ آخر: لقد مررت البارحة على بعض المبتدعة والزنادقة ممن لم تقنعهم علوم السلف، فراحوا إلى علوم الكفار يفسرون بها القرآن الكريم، وقد حصلت بيني وبينهم مشادة عنيفة أوقفنتهم فيها عند حدودهم.

ابتنسم الشيخ مسروراً، وهو يقول: لطالما كنت فرحاً بك يا بني.. أرى أن لك مستقبلاً رائعاً.. لست أدري كلما رأيته تذكرت البربهاري وابن بطة وشيخنا شيخ الإسلام. قال التلميذ: وكيف لا أغضب يا أستاذ، وأنا أرى حمى القرآن ينتهك.. لقد سمعتهم يفسرون قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر: ٢٢) تفسيراً تقشعر منه الأبدان.. لقد سمعتهم يذكر أن الرياح تحمل الماء من البحار، ثم تصعد به، ثم يعود ينزل من السماء مرة ثانية..

قام الشيخ غاضباً، وهو يقول: ويلهم ما أجرأهم على الكذب.. لقد ذكرت لكم بطلان هذه الأسطورة سابقاً.. لقد قال ابن كثير في تفسيرها: (ترسل الرياح فتحمل الماء من السماء، ثم تمر مر السحاب، حتى تدر كما تدر اللقحة)، وذكر أن هذا هو قول ابن عباس وإبراهيم النخعي وقتادة، وقال الضحاك: يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمئتي ماء..

قال تلميذ آخر: لقد فعلت يا سيدي مثلما فعل زميلي

الذي تشببه دائماً بالبريهاري.. لقد لقيت البارحة جماعة سمعتهم يرطنون بتلك الهرطقات، فرميتهم بحجارة كثيرة أسالت دماءهم، وفرقت مجلسهم.

قال الشيخ: بورك فيك يا بني.. أنت أيضاً أجلك وأحترمك، وأعتقد أن لك مستقبلاً في النهي عن المنكر والرد على الملاحدة والزنادقة لا يقل عن شيخنا شيخ الإسلام، وسلفنا البريهاري.

قال التلميذ: تصور سيدنا.. لقد سمعتهم يمجدون أشخاصاً من الكفرة كأينشتاين، وأديسون، وباستور.. وأسماء أخرى غريبة.. وفوق ذلك يذكرون أسماء لكتب في التنجيم والكيمياء ونحوها من علوم السحرة..

غضب الشيخ، وقال<sup>(١)</sup>: كلامهم هذا أعظم خيانة

للأبناء المسلمين من وجهين:

الأول: أن مصدر التوحيد وجميع علوم الشريعة الإسلامية هو الكتاب والسنة فكان يجب عليهم أن يتحدثوا عن مصادر التوحيد مثل، (الدر النضيد) للإمام الشوكاني، و(تطهير الاعتقاد) للإمام محمد بن إسماعيل الأمير

---

(١) انظر: الصبح الشارق بتصرف، ص ١٦٢.

الصنعاني، و(الأصول الثلاثة) و(كشف الشبهات) وكتاب،(التوحيد) للإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي، و(الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و(لمعة الاعتقاد) للإمام ابن قدامة، و(السنة) للإمام البريهاري، و(الرسالة الوافية في اعتقادات السنة) لأبي عمرو الداني وأمثال هذه المختصرات النافعة المفيدة والعقائد الصحيحة والعلوم الميسرة لهؤلاء الأئمة الناصحين رحمهم الله تعالى.

أما مراجع العلوم الكونية من الفلكيين والفلاسفة وأعداء الدين والجهال والمتهوكين الذين ربما أحدهم لا يعرف سورة الفاتحة فضلاً عن أن يعلموا المسلمين توحيداً أو يكسبوا منهم معتقداً صحيحاً أو خلقاً حميداً فهذه ذات الخيانة.

اشتد به الغضب، فقام يصرخ: لماذا لا يدلونهم على قراءة (عمدة الأحكام) و(اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) و(بلوغ المرام) ونحوها من المختصرات إذا كانوا لا يفهمون كتب الأسانيد كـ،(صحيح البخاري) و(صحيح مسلم) وأمهات كتب الحديث!

لماذا لا يرغبونهم في حفظ كتاب رب العالمين وتدبره

وفهم معانيه على فهم السلف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ والقرون المفضلة رضوان الله عليهم.

لماذا يصدون الشباب المسلم ويصرفونهم إلى ما لا يقدرون منه على شيء في دنياهم ولا آخراهم مع صعوبة مقدماته وإتلاف الأوقات فيه ولا يعود على صاحبه يوم القيامة إلا بالحسرة والندامة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: ٢٧ - ٢٩).

قال ذلك، ثم جلس يتنفس الصعداء، فقال له بعض تلاميذه: لقد ذكرت الوجه الأول.. فما الوجه الثاني؟

قال الشيخ: الوجه الثاني ما يحويه كلامهم ذلك من خيانة لأبناء المسلمين.. حيث يعظم في نفوسهم ويرتسم في أذهانهم إجلال وتبجيل أصحاب هذه العلوم البائرة من يهود ونصارى وفلاسفة حيارى ومروحي أفكارهم من جهال المسلمين الذين لم يأتوا للمسلمين إلا بتشويش الأذهان، وزعزعة العقيدة الصحيحة، وزعزعة الثقة

بكلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ.

فهؤلاء بسبب جهلهم وعدم تربيتهم على كتب السنة وأهلها يقعون في هذه العظائم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وأنهم أحدثوا للإسلام عزاً ونصراً وهم كما قيل: لا للحق نصروا، ولا للباطل كسروا وإنما كانوا مفاتيح أبواب الشرور.

بقي الشيخ يردد هذا وأمثاله أمام تلاميذه، ولا يكتفي برد الحقائق المعلومة من العلم بالضرورة، ولا يكتفي بأن يكون جاهلاً مركباً معقداً، يصور الخرافة بصورة العلم، ولكنه يضيف إلى ذلك صلافة وعنفاً وغلظة وجفاء لا تحتمل.

## الحكم.. والمتشابه

يشكل التعريف بالله الجانب الأساس والمركزي الذي تدل عليه جميع آيات القرآن الكريم صراحة أو إشارة أو إيحاء..

فلا تكاد تخلو آية إلا وتعرفنا بربنا سبحانه وتعالى: تملؤنا منه مهابة، وله حباً، وبه ثقة، وعليه اعتماداً وتوكلاً، ومنه أنساً وإليه قرباً..

يشعر القارئ لكتاب ربه، وكأنه يسمع ربه، ويراه من خلال تلك المعاني المقدسة الجميلة التي تلوح له في كل سورة.. بل في كل آية.. بل في كل حرف..

يسمع قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: ٤)، فيشعر بعلم الله الذي لا حد له، والذي يسع الكليات والجزئيات، بل أدق التفاصيل.. ويشعر بإبداع الله الدائم المتجلي في خلقه لكل شيء.. ويشعر بتدبير الله وتصرفه وملكيته لكل الكائنات..



ومع كل هذه المشاعر المهيبة يشعر بأن الله قريب منه، وأنه معه لا يغيب عنه.. وأن في إمكانه أن يتصل به متى شاء، ولأي أمر شاء.

كنت أردد هذه الآية الكريمة، وأحاول أن أعيش معناها، وأنا أسير في تلك البلدة باحثاً عن مدرسة قيل لي بأنني أجد فيها تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧).

وأن فيها من الراسخين في العلم من يميز بين المحكم والمتشابه، ومن يرد المتشابه إلى المحكم.

## الحكم:

ما هي إلا لحظات قليلة حتى وجدتها، وقد تعجبت إذ رأيت بنيانها القديم البالي، وتعجبت أكثر عندما رأيت قلة تلاميذها، وأسألتها.

ما إن دخلت حتى مالت نفسي إلى مجلس من

مجالسها، فرحت أسمع وأرى ما يجري فيه.  
قال الشيخ: لقد برهنت لكم في المجالس السابقة ما  
عساه يقنعكم بأن الغرض الأكبر للقرآن الكريم هو  
التعريف بالله، وملء النفس تعظيمًا له، وملء القلب محبة  
له.. لتتحرك حياة الإنسان بعدها وفق مرضاة الله، ووفق  
ما تقتضيه عبوديته.

قال تلميذ من التلاميذ: أجل سيدنا.. ولكن مع ذلك لم  
تذكر لنا أهم شيء في هذه المعرفة.. وهو معرفة الذات،  
وقد رأينا من إخواننا من مدرسة المتشابه من يعييون  
علينا ذلك، ويقولون بأننا نعبد الوهم، فنحن لا نعرف من  
ذات ربنا لا نقيراً ولا قطميراً..

ويقولون لنا ساخرين: كيف تعبدون إلهًا ليس فوق  
العالم، ولا تحته، ولا عن يمينه، ولا عن يساره، ولا  
يحس، ولا يشم، ولا يرى أبدًا، وأنه لا يحويه مكان، وأنه  
لا يوصف بالنزول، ولا المجيء، ولا الهرولة..

ويقولون لنا: إن تلك الأوصاف وغيرها كثير لا تقال  
إلا للمعدوم.

ويذكرون لنا بأننا نعطل القرآن الكريم بذلك.. بل

نعطل السنة المطهرة.. ونعطل معها كل ما ورد عن  
السلف الصالح من الآثار.

وبذلك لا يمكننا أبداً أن نعرف الله.. فمعرفتنا بالله لا  
تختلف عن معرفتنا للوهم.

وقد ذكروا لنا في ذلك قول شيخهم الذي يعتبرونه  
شيخاً للإسلام: (.. ففي التوراة والقرآن من الآيات التي  
ظاهرها التجسيم ما لا يحصى، وليس فيها نص بما يقوله  
النفثة من أن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا متصل  
به ولا منفصل عنه.. إلى نحو ذلك من النفي الذي يقوله  
نفاة الصفات. فمعلوم أنه ليس في الكتب الإلهية لا  
التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا القرآن ولا غير ذلك  
من النبوات من هذا حرف واحد، وكلها مملوءة مما يقول  
هؤلاء إنه تجسيم)<sup>(١)</sup>.

ابتسم الشيخ، وقال: وهل أجبتموهم؟

ابتسم التلميذ، وقال: وهل تركوا لنا الفرصة لجوابهم..  
لقد رمونا بالتجهم والرفض والاعتزال.. وكفرونا..  
وأباحوا دماءنا.

---

(١) الجواب الصحيح ٤٥٣/٤

قال الشيخ: وما يمنعكم من أن تسلكوا سبيلهم..  
وتتنصموا إليهم، لتحققوا دماءكم من جهة.. ولتعرفوا ذات  
ربكم من جهة أخرى.

قال التلميذ: منعنا من ذلك أمران: أما أولهما فإحساسنا  
في مجالسكم بعظمة ربنا وعدم محدوديته وتقديسه أكثر من  
إحساسنا في مدرستهم..

وأما الثاني، فهو أنهم يلزموننا إذا انضمنا إلى  
مدرستهم بأن نقول أقوالاً شنيعة في حق ربنا، لا تطبق  
عقولنا قبولها.. وهم يفرضونها فرضاً على كل من دخل  
مدرستهم وإلا طردوه منها.

قال الشيخ: فما يقولون؟

قال التلميذ: إنهم يلزموننا أن نقول بأن الله صورة  
ووجهًا زائدًا على الذات، وعينين وفماً ولهوات وأضراسًا  
ويدين وأصابع وكفًا وخنصرًا وإبهامًا وصدرًا وفخذًا  
وساقين ورجلين.. وأنه يجوز أن يمس ويمس، ويذني  
العبد من ذاته.. بل يلزموننا بعضهم أن نقول بأنه يتنفس<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: الباز الأشهب المنقض على مخالفتي المذهب لابن الجوزي  
(ص: ٢).

وقد ذكروا لنا أن كل مخالفة لذلك مخالفة للقرآن  
الكريم، وللسنة المطهرة.. وأنه لا حظ لمن لا يؤمن بها  
في معرفة الله.. وأن من ينكر ذلك عابد للوهم.

قال الشيخ: فمن أين لهم كل هذه المعرفة؟

قال التلميذ: هم يعتبرون كل ما أضافه الله إلى نفسه  
صفة من صفاته، ولذلك أطلقوا على جميع ما ورد  
منسوبًا لله صفة لله: كاليد والوجه والساق وغيرها،  
واعتبروا المؤول لها معطلاً.

قال الشيخ: فقد أضاف الله إلى نفسه بحسب ما تقتضيه  
اللغة المكر والخداع.. فهل ينسبونها لله؟

قال التلميذ: أجل.. هم ينسبونها لله.. ويذكرون أنها  
صفات نقص في الإنسان، وكمال في الله.

قال الشيخ: فقد أضاف الله إلى نفسه الروح، وذكر أنه  
نفخها في الإنسان، فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ  
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩)، فهل يزعمون  
أن الروح المنفوخة في الإنسان هي روح الله؟

سكت التلميذ، فقال الشيخ: فقد أضاف الله النسيان  
لنفسه، فقال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧).. فهل

ينسبون النسيان إلى الله؟

قال التلميذ: هم يتصرفون في مثل هذه النصوص تصرفاً خاصاً، ويؤولونها بطرق عجيبة غريبة..  
وقد حضرت مرة مجلساً من مجالسهم أولوا فيه كل الآيات الدالة على قرب الله من عباده، وقد نقلوا عن شيخهم الذي يسمونه شيخ الإسلام والذي يرجعون إليه كل حين قوله في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦): (هو قرب ذوات الملائكة وقرب علم الله)<sup>(١)</sup>، ثم عقب على ذلك بقوله: (وأما من ظن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد إذ إن ذاته أقرب فهذا في غاية الضعف)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا قال في موضع آخر: (إن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة.. ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ

(١) الأسماء والصفات ٢/٩٨.

(٢) الأسماء والصفات ٢/٣٤٩.

وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ  
 مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ (الحديد: ٤)  
 دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه  
 مطلع عليكم، شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى  
 قول السلف: إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب  
 وحقيقته<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ: فلم لم يذكروا أن في هذا الصرف تعطيلاً  
 لما وصف الله تعالى به نفسه.. ولم لم يقولوا: التقرب  
 معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب؟

قال التلميذ: هذا سر نفورنا منهم.. فهم يتناقضون  
 كثيراً.. فبينما يعتبرون التأويل تعطيلاً وتجهماً ورفضاً..  
 إذا بهم هم أنفسهم يؤولون، بل يكاد تأويلهم يغلب تأويل  
 جميع مخالفيهم.. فهم من أجل إثبات علو الله ينفون كل  
 آيات المعية وما يدل عليها، وما أكثرها في القرآن  
 الكريم..

بل إن بعض مشايخهم المعاصرين ذكر جواز صرف  
 اللفظ عن ظاهره، ولكنه لم يسمه تأويلاً، بل سماه تفسيراً،

(١) الأسماء والصفات ٢/٨١.

فقال في جواب من سأله عن قوله تعالى: ﴿يُذِ اللَّهُ فَوقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠): (ينبغي أن يُعلم أن التأويل عند أهل السنة ليس مذموماً كله، بل المذموم منه ما لم يدل عليه دليل، وما دل عليه دليل يسمى تفسيراً سواء كان الدليل متصلاً بالنص أو منفصلاً عنه، فصرف الدليل عن ظاهره يسمى تفسيراً، فصرف الدليل عن ظاهره ليس مذموماً على الإطلاق)<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ: هذه عاقبة كل من يترك المحكم، وينصرف إلى المتشابه.. فلا هو يفهم المتشابه.. ولا هو يعطي المحكم حقه الذي أعطاه الله له.

لقد سمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون فقال: (هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً فلا تضربوا بعضه بعضاً، ما علمتم منه فقولوا وما لا فكلوه إلى عالمه)<sup>(٢)</sup>.

وروي أنه ﷺ تلا آية المحكمات والمتشابهات، ثم قال: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين

---

(١) مجموع فتاويه ١ / ١٦٨

(٢) رواه أحمد.



عنى الله فاحذروهم<sup>(١)</sup>.

قال تلميذ الآخر: نحن نعلم التخبط الذي يقعون فيه.. ولكننا نتألم عندما يذكرون لنا بأننا نجعل الله.. وأنا نعبد الوهم.. وقد سربوا لنا بسبب ذلك من الشبهات ما احتجنا إليك فيه لرده.

قال الشيخ: لو رجعنا إلى المحكمات في القرآن الكريم لانفتحت لدينا كل مشكلة، وحلت لنا كل معضلة.. والمحكمات المرتبطة بتعريف الله في القرآن الكريم لها مجالان كبيران: التنزيه والتعظيم.. ولذلك شرع لنا في الأذكار أن نقول: (سبحان الله) الدالة على التنزيه.. ونقول (الحمد لله) الدالة على التعظيم.. فمن جمع بينهما فهو العارف حقاً.

وكل أسماء الله الحسنى تدل على أحد هذين، أو تجمع بينهما.

قال التلميذ: وما تقول في الإضافات التي تعلقت بها مدرسة المتشابه.. والتي اعتبرتها صفات لله؟  
قال الشيخ: الناس فيها نوعان: عوام وخواص.. وقد

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

ذكر القرآن الكريم التفريق بينهما في التعامل مع هذا في الآية الكريمة.

قال التلميذ: فما حكم العوام فيها؟

قال الشيخ: العوام ليس لهم القدرات على البحث فيها، ولذلك حسبهم أن يتناولوا المحكمات، ويكلموا علم المتشابهات إلى الله تعالى.. أو أن عليهم أن يؤمنوا بما ورد فيها مع صرف اللفظ الموهوم عن ظاهره ورد العلم بالمراد إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر مشايخنا في هذا أمورًا على العوام مراعاتها تجاه المشابهات<sup>(٢)</sup>:

- منها: اليقين بتنزيه الله عز وجل وتعظيمه تصديقًا لقوله تعالى في الآية الكريمة: قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

- ومنها: التصديق بما جاء في القرآن الكريم وما وافقه من السنة الصحيحة، وأنه حق على المعنى الذي أراده الله ورسوله.

---

(١) انظر: شرح جوهرة التوحيد للباجوري ١٤٩.

(٢) انظر: إجماع العوام لحجة الإسلام الغزالي ٦٤-٨٤.

- ومنها: الاعتراف بالعجز عن معرفة ذات الله عز وجل والإحاطة بوصفه.

- ومنها: السكوت عما سكت عليه الصالحون، والكف عن السؤال عنه كما كفوا، وأن لا نخوض فيه.

- ومنها: الإمساك عن التصرف في تلك الألفاظ. فنمस्क عن تفسيرها بلغة أخرى؛ لأن من الألفاظ العربية ما لا يطابقها في غير العربية، وفي اللغة العربية تراكيب لغوية تدل على معان لا تدل عليها بترجمة ألفاظها..

- ونمस्क عن تصريفها فلا نقول في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، هو المستوي على العرش؛ لأن الفعل يدل على استواء مرتبط بزمان، واسم الفاعل ليس كذلك ففي مثل هذا التصريف زيادة معنى ربما لا يكون مرادًا في اللفظ الوارد.

- ونمस्क عن تجميع ماتفرق من هذه الألفاظ، كما يفعل زعماء مدرسة المتشابه حين يجمعون في كتاب واحد أخبارًا تحت باب خصوه لإثبات اليد، وخصوا بابًا لإثبات الرجل، وبابًا لإثبات الوجه، فقوي بذلك الإيهام وغلب الحس.

- ونمسك عن تجريد اللفظ عن سياقه وسياقه؛ لأن كل كلمة سابقة ولاحقة تؤثر في إفهام المراد فإذا بلغنا قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام: ١٨)، فلا يجوز أن نقول: (هو فوق عباده)؛ لأن لفظ القاهر قبله يشير إلى فوقية الرتبة والقهر، كما قال تعالى على لسان فرعون: ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٧)، ونزح لفظ القاهر يعطل هذا المعنى الذي يحتمله السياق احتمالاً قوياً ويوهم فوقيةً غيرَها لم يكن ليفطن إليها لولا هذا التجريد عن السياق، بل قولنا: (القاهر فوق غيره) ليس كقولنا: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾؛ لأن ذكر العبودية مع كونه موصوفاً بأن القاهرَ فوقه يؤكد فوقية السيادة والقهر.

قال تلميذ آخر: ليتك تعلم شيخنا ماذا يقول لنا تلاميذ مدرسة المتشابه إن ذكرنا لهم هذا ومثله.. إنهم يعتبرون هذا من أشد أنواع البدع، وقد نقلوا لنا عن زعيمهم الذين يطلقون عليه لقب شيخ الإسلام قوله في المسلك الذي ذكرته لنا: (.. فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع

والإلحاد)<sup>(١)</sup>.

بل إنهم ينقلون عنه أنه سمي أهل التفويض بأهل التجهيل، فقال: (..أما أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف يقولون إن الرسول لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات.. ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك...)<sup>(٢)</sup>.

وقد نقلوا لنا عن بعض المعاصرين، ويطلقون عليه ابن عثيمين قوله: (التفويض من شر أقوال أهل البدع.. وإذا تأملته وجدته تكذيباً للقرآن وتجهيلاً للرسول)<sup>(٣)</sup>. قال الشيخ: من اتبع المتشابه في الله فسيقع في المتشابه في الدين جميعاً.. فيؤول سماحته إلى عنف.. ويؤول أدبه إلى خشونة.. ويؤول لطفه إلى خشونة.. وهكذا.. فمن لم يستح من الله أن يشبهه بخلقه، وأن يصنع له قالباً جسمياً كيف يستحيي ألا يكفر الأمة أو يبدعها أو يرميها بكل ما تمليه عليه أحقاده من أصناف السباب.

---

(١) درء التعارض ٢٠٥/١

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤/٥

(٣) المحاضرات السنوية ٦٧/١

## ضوابط التعامل مع المتشابه:

قال تلميذ آخر: دعنا منهم يا شيخنا.. نحن ما جلسنا هذا المجلس إلا لنعرف ربنا، ونسلك سبيله، ولا يهمننا من سلك معنا، ومن لم يسلك.. ونحن واثقون فيك وفي ورعك، فبصرنا بطريق الخواص الراسخين في العلم.  
قال الشيخ: لقد وضع الراسخون في العلم للتعامل مع المتشابه أربعة ضوابط.

قال التلميذ: فما أولها؟

قال الشيخ: أولها أن من تعظيم القرآن الكريم والسنة المطهرة واحترام دلالاتهما ألا يصرف اللفظ عن ظاهره فيهما إلا عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال ممتنع<sup>(١)</sup>..

وكمثال على ذلك قول النبي ﷺ: (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن)<sup>(٢)</sup>، وقد قال الغزالي تعقيباً على هذا الحديث: (حمله على الظاهر غير ممكن... إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع فعلم أنها

(١) انظر: أساس التقديس، الرازي ١٨٢.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٤٥ (٢٦٥٤)

كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع، وكُنِّي بالأصابع  
عن القدرة؛ لأن ذلك أعظم وقعاً في تفهم تمام الاقتدار<sup>(١)</sup>.

قال التلميذ: فما الثاني؟

قال الشيخ: من خلال المحكمات الواردة في القرآن  
الكريم والسنة المطهرة عرفنا أن الله عز وجل ليس في  
جهة أو حيز، ولا يجوز عليه التركيب ولا التجسيم ولا  
التشبيه، ولا تقوم به الحوادث، فإذا وردت النصوص  
المتشابهة معارضةً لهذه العقائد نأخذ بالمحكم، فنؤول  
الظواهر إما إجمالاً ونفوض تفصيلها إلى الله، وإما تفصيلاً  
بتعيين المراد الموافق للسان العربي الذي نزل به القرآن  
الكريم<sup>(٢)</sup>.

قال التلميذ: فما الثالث؟

قال الشيخ: لا يصح أن نصرف النص المتشابه عن  
دلالاته الظاهرة إلا وفق أساليب اللغة وعرف الاستعمال  
جاريًا على ما يقتضيه لسان العرب وما يفهمونه في

---

(١) انظر: قواعد العقائد، مع إحياء علوم الدين ١/١٠٢.

(٢) انظر: المواقف، الإيجي ٢٧.

خطاباتها<sup>(١)</sup>.

قال التلميذ: فهلا وضحت لي هذا بمثال؟

قال الشيخ: عندما نبحت عن معنى قوله تعالى مثلاً:  
﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا  
يَسْتَطِيعُونَ﴾ (القلم: ٤٢) في اللسان العربي، فإننا نجد  
العرب يفسرون ذلك بالشدة، وقد روي أن ابن عباس سئل  
عن هذه الآية، فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن  
فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول  
الشاعر:

سن لنا قومك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق<sup>(٢)</sup>.

قال التلميذ: صدقت سيدنا.. وأنا أحفظ من مثل هذا  
الكثير، فالعرب تعبر عن كل كرب وشدة بذلك، ومن ذلك  
قول الشاعر:

كشفت لكم عن ساقها      وبدا من الشر الصراح  
وقال آخر:

---

(١) انظر: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/٦١٣).



قد شمרת عن ساقها فشدوا

وجدت الحرب بكم فجدوا

قال تلميذ آخر: لبيتك حضرت معنا سيدي إلى مدرسة المتشابه، فإنهم يفسرونها تفسيرًا خطيرًا.

قال الشيخ: دعنا منهم.. فمن وقع في المتشابه وقع في التشبيه لا محالة..

قال التلميذ: حدثتنا عن الضابط الثالث، فحدثنا عن الرابع؟.

قال الشيخ: الرابع هو أنه لا ينبغي لمن صرف المتشابه عن ظاهره أن يجزم بأن مراد الله هو ذلك المراد، أدبًا مع الله، وتعظيمًا لمراده، وخاصة إذا احتمل وجوهًا في اللسان العربي..

قال التلميذ: فهلا ضربت لنا مثالاً على ذلك.

قال الشيخ: من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، فإن المحكم يقتضي ألا نفسر الاستواء بالجلوس والقعود كما يفعل المتبعين للمتشابه؛ لأن ذلك حد لله، ووصف له بصفات الحوادث.. أما تعيين المراد منه، فيحتمل وجوهًا عديدة،

وقد قال بعض علمائنا في ذلك: (لا يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة... ولا يبعد حمل الاستواء على قصد الإله إلى أمر في العرش)<sup>(١)</sup> وغير ذلك من الوجوه.

بعد أن انتهى الشيخ من حديثه عن ضوابط التعامل مع المتشابه أخذ التلاميذ يسألونه عن أسماء الله الحسنى، فيشرحها لهم شرحاً عجيباً، ويربطها بحقائق الكون التي نراها.. حتى اعتقدت جازماً بعد خروجي من مدرسته أن المجال الوحيد المتاح لعقولنا وقلوبنا للتعرف على الله هي أسماؤه الحسنى.. فيقدر ما نستغرق فيها بقدر ما نرتبط بالله، وبشرع الله، وبالتحقق بدين الله.. فأسماء الله مدرسة كاملة في العقيدة، وفي حقائق الوجود، وتفسير ما يحصل فيه.. وهي كذلك مدرسة في التربية والسلوك والأخلاق والروحانية.

### **المتشابه:**

بعد أن خرجت من مدرسة المحكم سولت لي نفسي أن

---

(١) انظر: الإرشاد ٤١.

أرى مدرسة المتشابه، وأرى العلوم التي تدرس فيها.. وليتني ما فعلت.. فقد كان للطروحات التي طرحت فيها آثار سلبية خطيرة على نفسي أزالته كثيراً من معاني التقديس والتعظيم التي كنت أستشعرها من خلال القراءة الفطرية للقرآن الكريم.. ولم أتخلص من تلك الرواسب إلا بعد جهد جهيد.

كانت المدرسة كبيرة مزخرفة.. وكان لمشايخها من الأبهة والسلطان ما لم يكن لمشايخ مدرسة المحكم.. فقد كان كل واحد منهم مستو على عرشه، وكأنه ملك من الملوك يأمر وينهى..

جلست في أحد المجالس، وقد تعجبت إذ سئل الشيخ بمجرد جلوسي عن تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (القلم: ٤٢). فاعتدل في جلسته فرحاً مسروراً، وقال: أحسنت بسؤالك هذا.. فهذه الآية يمكننا أن نفرق بين أهل السنة وأهل البدعة.. وبين أهل النجاة وأهل الضلالة.. فقد ورد حديث صحيح في البخاري يؤكد هذا، ويدل عليه.. فأبشروا.. فهذا الحديث بشارة لأهل السنة، وإنذار

للمبتدعة.

قال التلميذ: فهلا حدثتنا شيخنا بهذا الحديث.

قال الشيخ: أجل.. وأنا أرويه مسندًا من شيخي إلى

البخاري إلى رسول الله ﷺ..

قال ذلك، ثم أخذ يردد سندًا طويلًا، استغرق وقتًا

كثيرًا.. وبعد تعديد عشرات الأسماء والألقاب والكنى

والبلدان وصلنا إلى آخر راوٍ في سلسلة السند الطويل..

وقد تعجبت من ذاكرته العجيبة التي حفظت كل تلك

الأسماء.

بعد الراوي الأخير مباشرة بدأ الحديث عن رسول الله

ﷺ..

لا أستطيع أن أذكر لكم أن الحديث لرسول الله ﷺ..

فرسول الله ﷺ أكثر تعظيمًا لربه من أن يقول هذا..

ولهذا سأذكره باعتباره الرواية التي سمعتها..

كان الشيخ يتفاعل مع كل كلمة يقولها، ويمطط فيها

حتى صرنا، وكأننا - وأستغفر الله - نرى الله تعالى

وتقدس بأعيننا المجردة بلباسه وتاجه وساقه..

قال الشيخ، وهو يسرد الحديث<sup>(١)</sup>، وكأنه يقص قصة من قصص ألف ليلة وليلة: في ذلك اليوم من أيام القيامة يؤذن مؤذن يسمعه الخلائق جميعاً: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب؛ فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقول: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.

ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ فيقولون. عطشنا يا رب فاسقنا قال: فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار.

---

(١) الحديث وارد في الصحيحين، وقد نقلته بتصريف، ولم أنسبه لرسول

نظر الشيخ إلى التلاميذ، وهو يقول: الحمد لله.. ها قد  
تخلصنا من اليهود والنصارى.. ولم يبق في ذلك الموقف  
إلا نحن.. لكن لا تستعجلوا لا تتصوروا أن كل من بقي  
ناج.. الناجي هو من يعتقد ما نعتقد فقط..

اسمعوا لباقي الحديث.. يقول الحديث: حتى إذا لم يبق  
إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في أدنى  
صورة من التي رأوه فيها، فيأتيهم الجبار في صورة غير  
الصورة التي رأوها أول مرة قال: فما تنتظرون: لتتبع  
كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا  
أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم فيقولون:  
نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً - مرتين أو ثلاثاً؛ حتى  
إن بعضهم ليكاد أن ينقلب - فيقول: هل بينكم وبينه آية  
تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق، فلا يبقى  
من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود،  
ولا يبقى من كان يسجد نفاقاً ورياء إلا جعل الله ظهره  
طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون  
رعوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة  
فقال: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا.

وقف الشيخ بحماسة، وراح يرفع يده بقوة، وهو يقول:  
أرأيتم قيمة معرفة صفة الساق، فكل من جحد بها لا  
يستطيع أن يسجد يوم القيامة.. وكل من أنكر أن الله  
صورة ووجهًا وساقًا وضرسًا لا يستطيع أن يسجد.. وكل  
من أنكر أن يأتي الله أو يذهب أو يجري أو يهرول لا  
يستطيع أن يسجد.. وكل من أنكر أن الله يتكلم ويضحك  
ويستلقي لا يستطيع أن يسجد..

وبقي يردد ذلك.. ويخوف تلاميذه بذلك.. وقد كانت  
الصور تتوارد على خيالي، وهو يلصقها بالله.. حتى  
صار الله.. تعالى وتقدس.. وكأنه جرم من الأجرام  
الضخمة.. وليس من فرق بينه وبينها إلا أننا نعرف هيئة  
تلك الأجرام.. ولا نعرف بدقة هيئة الله.

لكن الشيخ بقي يوضح ويزيد الأمر تفصيلاً إلى أن  
أصبحتنا وكأننا نرى الله بأعيننا المجردة.

قال له أحد التلاميذ: كشف الساق يا سيدنا يدل على  
الله تعالى يلبس لباساً؟

قال الشيخ: أحسنت بني في استنتاجك.. فقد دلت عليه  
الرواية، فقد روى سلفنا الصالح في أحاديث كثيرة متواترة

عن أصحابنا عن رسول الله ﷺ أنه (رأى ربه عز وجل في النوم في صورة شاب ذي وفرة قدماء في الخضر عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب)<sup>(١)</sup>. قال التلميذ: ولكن هذا الحديث يدل على أنه رآه في النوم.. ولا يمكن أن نرى في النوم الحقائق بدقة.

قال الشيخ: لقد رد سلفنا الصالح على هذا الاعتراض من وجهين: أما الأول، فهو أن الذي رأى هو رسول الله ﷺ.. وليس أحدًا آخر، ورؤيا الأنبياء صدق.. وأما الثاني، فقد روي من طرق متعددة من أصحابنا أن الرؤية كانت في اليقظة.. فقد روى الطبراني في (السنة) عن ابن عباس قال: رأى محمد ﷺ ربه في صورة شاب أمرد، وبه قال ابن جريج عن صفوان بن سليم عن عائشة قالت: رأى النبي ﷺ ربه على صورة شاب جالس على كرسي رجله في خضرة من نور يتلألأ..

وروى الطبراني في المعجم الأوسط عن عكرمة، قال: سئل ابن عباس: هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل؟ قال: نعم، رآه في صورة شاب بين شعر من لؤلؤ، كأن

---

(١) كتاب رؤية الله للدارقطني ص ٩٠ ط. مكتبة القرآن / القاهرة.



## قدمية في خضرة<sup>(١)</sup>.

وروى أبو يعلى الفراء عن ابن عباس ما يؤكد صحة حديثه ذكره أبو بكر بن أبي داود في كتاب السنة بإسناده عن عكرمة قال: سئل ابن عباس: هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ قال: نعم، قال: كيف رآه؟ قال: (في صورة شاب دونه ستر من لؤلؤ كأن قدميه في خضرة)، فقلت أنا لابن عباس: أليس هو من يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)؟ قال: لا أم لك، ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو بكر الخلال عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه جل ثناؤه جعدًا قططًا أمرد في حلة حمراء<sup>(٣)</sup>.

بقي الشيخ يورد الكثير من النصوص التي تدل على هذا، ويستشهد لذلك من كلام سلفه الصالح ما يملأ القلوب

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ج ٣ ص ٣٣٥ رقم ٤٧٦٧.

(٢) إبطال التأويلات لأخبار الصفات ج ١ ص ١٤٨ رقم ١٥١.

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات ج ١ ص ١٣٣ رقم ١٢٢.

رهبة من مخالفتها..

بعد أن انتهى من ذلك، قال بعض التلاميذ: لقد زرت  
البارحة مدرسة المحكم.. وقد رأيتهم ينكرون مثل هذا،  
ويردون عليه ردًّا شديدًا.

غضب الشيخ، وقال: ألم أكن نهيتكم عن زيارة أولئك  
المبتدعة الضالين الجاحدين؟

قال التلميذ: أنا لم أذهب إلا لأتجسس لك عن  
أخبارهم.. ومعاذ الله أن أترك النبع الصافي الذي تسقيننا  
منه، وأذهب إلى تلك المنابع الكدرة المختلطة بالفلسفة  
والكلام والرفض..

قال الشيخ: ما دمت قلت هذا.. فسأذكر لك حديثاً عن  
بعض سلفنا الصالح يفيدك في إقامة الحجة عليهم..

لقد حدثني بعض مشايخنا بسنده عن حماد بن زيد قال:  
مثل الجهمية مثل رجل قيل له: في دارك نخلة؟ قال: نعم،  
قيل: فلها خوص؟ قال: لا، قيل: فلها سعف؟ قال: لا،  
قيل: فلها كرب؟ قال: لا، قيل: فلها جذع؟ قال: لا، قيل:  
فلها أصل؟ قال: لا، قيل: فلا نخلة في دارك.. وهؤلاء  
الجهمية قيل لهم: لكم رب يتكلم؟ قالوا: لا، قيل: فله يد؟

قالوا: لا، قيل: فله قدم؟ قالوا: لا، قيل: له إصبع؟ قالوا:  
لا، قيل: فلا رب لكم<sup>(١)</sup>.

خرجت من مدرسة المتشابه، وأنا ممتلئ بالشبهات،  
ولم أستطع أن أطهر قلبي من درن التشبيه إلا بعد أن  
التجأت إلى ربي الذي أرشدني إلى العودة لمدرسة  
المحكم، وفيها استطعت بفضل الله أن أتخلص من كل  
الشبهات التي زرعتها في نفسي أتباع المتشابهات.

---

(١) إبطال التأويلات (ص: ٥٥)

## التفعيل .. والتعطيل

لو قمنا بعملية حسابية بسيطة للآيات القرآنية التي يمكن تفعيلها في حياتنا - من وجهة النظر السلفية التراثية - فإننا سنجد ما لا يقل عن واحد في المائة من القرآن الكريم جميعاً مما يمكن تطبيقه في الحياة.. وحتى هذا الواحد يمكن أن يكون مخصصاً ومقيداً ومؤولاً ومحدوداً..

وحتى لا يعتبر قولنا هذا دعوى.. فإننا نذكر بأن نصف القرآن تقريباً من القصص.. وهذه لم يكتف السلفيون والتراثيون بتعطيلها عن العمل في حياتنا فقط بحجة أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، وإنما شوهدت وغيرت وبدلت تبديلاً عظيماً..

وهكذا بالنسبة للآيات الكونية في القرآن الكريم.. والتي أسيء فهمها، وحرمت التيار السلفي المتطرف من النظر إليها وفق معطيات العلم.. وجعل البحث فيها محصوراً في تلك العقول الفارغة التي لا تزال تتناول معارفها من تراث بني أكثره على الخرافة.  
أما آيات الأحكام.. والتي أنزلت لتنفذ في واقع الحياة..

فقد عرض لها ما عرض لغيرها من القول بالنسخ والتخصيص والتقييد.. ولذلك لا يحق لأحد من الناس أن يستفيد من الرؤى القرآنية في هذا الجانب، بل يحذر من التدبر من لا يميز الناسخ من المنسوخ، والعام من الخاص، والمطلق من المقيد.

وهكذا بالنسبة لآيات التسامح التي نسخت جميعاً بآية السيف..

وهكذا بالنسبة لآية رعاية أموال اليتامى، وعدم أكلها، فقد نسخت بحديث التعصيب الذي يجيز لابن العم مهما بعد أن يتقاسم التركة مع البنات مهما قربن.. مع أن القرآن الكريم لم يقل ذلك.. والفطرة السليمة لا تقول ذلك.. والعدالة التي برمجهما الله في عقول عباده لا تقول ذلك..

وهكذا لم يبق من القرآن الكريم مفعلاً في حياتنا إلا ما يسمونه آية السيف.. ويؤكدون ذلك بأن رسول الله ﷺ قال: كفى بالسيف شافياً.. ونصرت بالرعب.. ولو شئنا أن نأتي بالأمثلة المفصلة على هذا، فلن ننتهي..

فإذا حسينا كل تلك الإلغاءات والتحديدات والتقيدات..  
 فإننا نجدها كل القرآن تقريباً.. ولذلك لا حرج علينا إذا  
 قلنا بأننا نعطل القرآن؛ لأنه يستحيل أن يفعل القرآن من  
 يعطل ولو آية واحدة من آياته.  
 وسأقص عليكم هنا قصة بسيطة ترمز إلى كلتا  
 الرؤيتين:

الرؤية التي أتيناها بفضل الله، وأدعو إلى تبنيها، وهي  
 التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ  
 فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١).

والرؤية التي نشرها الشيطان في هذه الأمة، والتي  
 أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا  
 الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ (فصلت: ٢٦)، أي:  
 تواصلوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، ولا ينقادوا  
 لأوامره<sup>(١)</sup>.

وأشار إليها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ  
 نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ  
 السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٣٦، ٣٧).

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٧٤)

## التفعيل:

في المدرسة الأولى، البسيطة المتواضعة صاحبة المرافق المحدودة، والتلاميذ القليلين.. وجدت شيخاً يشبه شيخ الإشارة، وشيخ العبرة، وشيخ المحكم يخاطب تلاميذه بقوله: لقد طرحتم علي البارحة شبهاً يثيرها زعماء التعطيل.. وقد طلبت منكم أن تجمعوها.. وأن تجمعوا الآيات التي قاموا بتعطيلها، لأبين لكم وجوه تفعيلها.. فهل فعلتم؟

قال تلميذ من تلاميذه: أجل.. وقد وجدنا أنها تكاد تشمل القرآن جميعاً.. فما من آية إلا نجدهم قد ربطوها بأهل الكتاب، أو بشرع من قبلنا، أو ربطوها بسبب نزول.. أو ذكروا أنها منسوخة.. أو أنها مخصصة.. أو أنها مقيدة.. أو أن القصد منها التشديد وليس الحقيقة.. وهكذا..

قال الشيخ: أعلم ذلك يا بني.. ولولا ذلك لأقمنا الكتاب كما أمر الله، ولما حصل في الأمة ما حصل، بل لأكلنا من فوقنا ومن تحت أرجلنا.. لقد قال الله تعالى يحذرنا من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ

إِيَّاهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ لِأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ  
أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ (المائدة: ٦٦).

ضحك أحد التلاميذ، وقال: هم يعطلون هذه الآية  
أيضاً.. فقد ذكروا أنها في أهل الكتاب، وأنهم هم الذين  
فرطوا في التوراة والإنجيل.. أما نحن فعلى العكس منهم  
تماماً.

قال الشيخ: فهل أكلت هذه الأمة من فوقها ومن تحت  
أرجلها.. أم أن المصائب والاستبداد والجوع والفقير  
والاستعمار كلها حلت بها في تاريخها كله؟

قال التلميذ: يمكننا أن نرجع إلى كتب التاريخ في  
هذا.. وقد أخبرتنا بأن المصائب لم تبرح تنزل بهذه  
الأمة.. وأولها البأس الشديد الذي حل بينها على مدار  
التاريخ جميعاً.

قال الشيخ: فهل ترى أن الله سبحانه وتعالى الحكم  
العدل يجعل قانوناً خاصاً بمن فرط في كتابه، فيطبقه على  
قوم، ويعفو عن آخرين؟ أم ترى أن التوراة والإنجيل أكثر  
حرمة عند الله من القرآن الكريم، ولذلك يعاقب من فرط  
فيهما، ولا يعاقب من فرط فيه؟



قال التلميذ: هم يقولون بأن هذه الأمة مرحومة.. وأنها خير أمة أخرجت للناس.

قال الشيخ: أما كونها مرحومة.. فذلك راجع إلى أعمالها.. وأما كونها فضلت على سائر الأمم.. فالله تعالى أخبر بأنه فضل بني إسرائيل كذلك.. أي اختارهم دون الخلق لتحمل المسؤولية.. فمن وفى فله الجزاء، ومن فرط فعليه العقوبة..

لقد ذكر الله قانون ذلك، فقال: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾ (النساء: ١٢٣، ١٢٤).

قال تلميذ آخر: لقد ذكرتني يا شيخنا بتفسيرهم للسورة التي نردها كل يوم.. والتي ورد فيها أصناف الناس.. فتراهم إذا قرأوا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاحة: ٧) خصوها بأنفسهم.. وإذا قرأوا ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاحة: ٧) قسموها شطرين، فشطر الغضب أرسلوه لليهود.. وشطر الضلال

أرسلوه للنصاري..

قال تلميذ آخر: أجل سيدي.. وقد كنت أود أن أسألك عن هذا، فقد قرأت في تفسير ابن كثير قوله: (طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصاري فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصاري؛ لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم.. والنصاري لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصاري ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب)<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ: هذا من تعطيل القرآن.. فالله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن الكريم أوصاف المغضوب عليهم.. وأوصاف الضالين.. فمن انطبقت عليه.. فهو منهم كان يهودياً أو نصرانياً أو مسلماً.. فالله لا يفرق بين عباده.

قال التلميذ: ولكن ابن كثير استدل لذلك من القرآن

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٤١).

الكريم، فانه تعالى قال عن اليهود: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٦٠).

وقال عن النصارى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧).

قال الشيخ: فهل ذكر الله تعالى الأعمال التي قام بها هؤلاء حتى استحقوا هذه الأوصاف؟

قال التلميذ: أجل.. والقرآن الكريم ممتلئ بذكر أفعالهم..

قال الشيخ: هو لم يذكرها لأجلهم.. إنما ذكرها لأجلكم.. هو يحذركم إن سلكتم سلوكهم في انحرافهم عن كتابهم وأنبيائهم أن ينزل بكم غضب الله، وتضلوا عن الطريق المستقيم.

## حل مشكلة الفواحش في المجتمع:

قال تلميذ آخر: ائذن لي يا شيخ أن أحدثك بآية كنت سمعت تفسيرها البارحة في مدرسة التعطيل، وقد سمعتهم

يعتبرونها معفاة من العمل.. وأنه ليس علينا سوى قراءتها، والاستفادة من الحسنات التي ننالها من خلال ذلك.. وقد حاولت جهدي أن أفك تعطيلها، وأرى كيف تفعل حياتنا، فلم أطق.

قال الشيخ: تفضل.. اذكرها.. فيستحيل على الكتاب الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤٢) أن يعطل حرف من حروفه.

قال التلميذ: هي قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٥)، فقد نقلوا اتفاق المفسرين على أنها معطلة عن العمل<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ: ما دامت معطلة.. فكيف أمرنا بإقامة القرآن الكريم جميعاً.. لقد قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ

---

(١) نقل ابن كثير القول بنسخها عن ابن عباس وعكرمة، وسعيد بن جبیر، والحسن، وعطاء الخراساني، وأبي صالح، وقتادة، وزيد بن أسلم، والضحاك، ثم علق على ذلك بقوله: (منسوخة. وهو أمر متفق عليه)، انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٣).

إِيَّاكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾  
(الأنعام: ١٠٦)، ولم يقل اتبع بعض ما يوحى إليك من ربك.

قال التلميذ: فكيف ترى تفعيل الآية الكريمة في واقعنا؟

قال الشيخ: أخبرني أولاً.. كيف يعطلونها؟

قال التلميذ: هم لا يقولون بنسخها، ولكنهم يذكرون أنها مرحلة من المراحل التي مرت بها الحدود المرتبطة بالزنا.. وقد قال السعدي في تفسيرها: ( وهذه الآية ليست منسوخة، وإنما هي مغيية إلى ذلك الوقت، فكان الأمر في أول الإسلام كذلك حتى جعل الله لهن سبيلاً وهو رجم المحصن وولد غير المحصن)<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ: كل ذلك سواء.. التعطيل لا يكون بالقول بالنسخ فقط.. مجرد إخراج الآية الكريمة عن دورها العملي في واقع الحياة تعطيل.

قال التلميذ: فكيف ترى تفعيلها؟

قال الشيخ: هذه الآيات مع مجموعة أخرى تحل مشكلة الفواحش في المجتمع.. ولو أنها فعلت جميعاً وفق

---

(١) تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٧١).

ما ذكر القرآن الكريم لزالّت الفاحشة، أو كادت.  
لقد قمت بإحصائها، ووجدت من خلالها ذلك الانتظام  
العجيب في المعالجة القرآنية لهذه المشكلة الخطيرة<sup>(١)</sup>..  
وقد وجدت بعد الإحصاء تسع آيات كريمة.

قال التلميذ: فما الآية الأولى؟ وماذا تعالج؟

قال الشيخ: الآية الأولى هي قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ  
وَالزَّانِي فَاجِلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ  
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَلَيْشَهْدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢).

وهي تضع الحد الشرعي للزانية والزاني إذا ضبطا  
في حالة تلبس، فالعقوبة مائة جلدة أمام الناس.. حتى  
يرتدع الناس جميعاً.

قال التلميذ: ولكن لماذا كان ذلك أمام الناس؟

---

(١) رجعت في تفسير هذه الآية بحسب هذه الرؤية إلى مقال علمي ممتاز  
بعنوان:.. رجم الزاني المحصن ليس من القرآن، موقع أهل القرآن، على  
الرابط التالي:

<http://www.ahl->

[alquran.com/arabic/document.php?main\\_id=١١٧٨](http://alquran.com/arabic/document.php?main_id=١١٧٨)

قال الشيخ: لأن هؤلاء لم يتستروا.. بل راحوا يقومون بالفاحشة أمام الناس.. لدرجة أنه لم يرههم شخص واحد أو شخصين، بل أربعة أشخاص وكلهم بالغون وعدول وأصحاب حرمة في المجتمع.. فتمكن هؤلاء الأربع مع عدالتهم من رؤيتهم يدل على أن هناك كثير قد رأوهم.. ولهذا كانت العقوبة أمام الناس جميعًا لترتبط صورة العقوبة أمام صورة الذنب، فيرتدع المجتمع.

قال التلميذ: فما الآية الثانية؟ وماذا تعالج؟

قال الشيخ: هي نفسها الآية التي سألت عنها، وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهُدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٥).

وهي تتحدث عن امرأة يشاع بأنها سيئة السلوك، وتتكاثر الشواهد على سوء سمعتها في مجتمعها.. وفي هذه الحالة لا بد من عقاب مناسب لها بعد الإشهاد عليها بأربعة شهود بأنها من اللاتي يأتين الفاحشة بدون أن يتم ضبطها.. وهنا تعاقب بالحبس في البيت، ومنعها من

الخروج إلى أن تموت أو تتزوج أو تتوب..  
انظروا كيف تأمر الآية الكريمة بالاستشهاد في مثل  
هذه الحالة حتى يخلص المجتمع من كل أسباب  
الفواحش..

قال التلميذ: ولكن لم عوقبت المرأة، ولم يعاقب الرجل  
سوء السمعة؟

قال الشيخ: معاذ الله أن يفرق الله العدل الرحيم بين  
عباده، فيعاقب المرأة ولا يعاقب الرجل.. لقد نص الله  
تعالى على عقوبة الرجل، فقال: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ  
فَأَذُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٦)، والأذية تشمل كل عقوبة  
يمكنها أن تردع الرجل عن ارتكاب الفواحش.

قال التلميذ: فلم حبست النساء في البيوت، ولم يحبس  
الرجال؟

قال الشيخ: أنتم تعلمون أنه لولا كون النساء سبب  
الإثارة والفتنة لما تجرأ الرجال على الفاحشة.. فالعفيفة  
الطاهرة يستحيل أن يأتيها رجل برضاها.. فإن فعل فقد  
شرع الله له أخطر عقوبة، وهي عقوبة المحاربة كما



سنرى.

قال التلميذ: فما الآية الثالثة؟

قال الشيخ: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ بِنَافِحَةٍ لَكُمْ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النساء: ٢٥).

وفيها يخاطب الله تعالى المؤمنين الفقراء الذين لا يستطيعون زواج الحرائر لغلاء مهورهم وغيره من الأسباب أن يتزوجوا من الفتيات المؤمنات من ما ملكت الإيمان، فهذه المؤمنة الجارية إذا تزوجت، فوَقَعَتْ فِي جَرِيمَةِ الزَّانَا تَكُونُ عَقُوبَتُهَا خَمْسِينَ جَلْدَةً أَوْ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُتَزَوِّجَاتِ الْحَرَائِرِ مِنَ الْعَذَابِ إِذَا وَقَعْنَ فِي الزَّانَا.

قال التلميذ: لقد ظللت دهرًا محتارًا في هذه الآية.. فكيف تكون عقوبتها نصف الثيب مع أن عقوبتها الرجم..

فهل يعقل أن يوجد نصف رجم؟.. وإذا كانت المرأة الحرة المحصنة تموت بحد الرجم، فهل يوجد نصف موت؟  
ابتسم الشيخ، وقال: ها أنت يا بني تفعل هذه الآية..  
وتتفي تعطيلها؟

قال التلميذ: لم أفهم..

قال الشيخ: هذه الآية الكريمة أكبر رد على من وضعوا حد الرجم الذي هو تعطيل لعموم عقوبة الزناة الواردة في أول سورة النور.. وكأن الله تعالى نبه عقولنا من خلاله إلى أن هذا الحد مناف لتشريعه.

قال التلميذ: ولكنهم رووا أنه قد نزل في ذلك قرآن..  
وقد رفع.. أو أكلته الداجن..

قال الشيخ: فهلا قرأت لي الآية التي زعموا رفعها..  
وهل تتناسب مع الإعجاز القرآني الذي ورد التحدي به..  
وهل رويت متواترة؟

قال التلميذ: معاذ الله.. فالقرآن أعظم بكثير..

قال الشيخ: لن أعيد لكم ما ذكرته سابقاً.. فإله تعالى أخبرنا أنه لا مبدل لكلماته، فقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

(الأنعام: ١١٥)، وقال: ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٧).

وأخبرنا أنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢).

وأخبرنا أنه لا يحوي على أي عوج، فقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٢٧، ٢٨).

قال التلميذ: ولكن ماذا تفعل بحديث ماعز والغامدية؟  
قال الشيخ: هذه الأحاديث نفسها تدل على التناقض الذي يقع فيه القائلون بالرجم.

قال التلميذ: كيف ذلك؟

قال الشيخ: ألا ترون أنهم يستدلون بحديث المخزومية التي سرقته، وطلبت قریش ألا يقام عليها الحد، لكن رسول الله ﷺ قام فخطب فقال: (يا أيها الناس إنما ضلَّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريفة تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن

فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)<sup>(١)</sup>؟

قال التلميذ: بلى.. ولكن ما وجه الاستدلال بهذا؟

قال الشيخ: فقد ذكروا في حديث الغامدية أن رسول الله ﷺ كان يردها على حين.. ولم يكن حريصاً على حضورها ليقيم الحد عليها.. ولو أنها لم تحضر لما طلبها.. أفتراه يتشدد في حدود الله مع المخزومية ويتساهل مع الغامدية.

قال التلميذ: ولكنهم رووا في ذلك أحاديث أخرى..

قال الشيخ: لقد أثبت لكم بالأدلة الكثيرة أن كل حديث يخالف القرآن الكريم لا عبرة به<sup>(٢)</sup>.. وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ ذلك.. ولكن المعطلين يأبون إلا أن يضربوا القرآن بالحديث.. ويضربوا الحديث بالقياس وآراء الرجال.. حتى لا يخلص لنا من الدين إلا أقوالهم المخلوطة بأهوائهم.

قال التلميذ: فما هي الآية التي تتعارض مع تلك

الأحاديث؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) ذكرنا الأدلة المفصلة على هذا في كتاب (سنة بلا مذاهب).

قال الشيخ: هي الآية الأولى التي بدأتها بها.. وهي قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢) ألا ترى أن الله سبحانه عم بها كل زان، ولم يستثن من هذا الحكم البكر أو الشيب، ولو كان مستثنى لذكره.. فالقرآن الكريم يذكر التفاصيل في أقل من هذ الحد.. فكيف لا يذكرها في هذا، والعقوبة فيه أشد؟

قال التلميذ: ألا نذكر لنا مثالا على ذلك؟

قال الشيخ: الأمثلة أكثر من أن تعد أو تحصى.. فالقرآن يوضح الأمور ويفصلها حتى لا يقع الالتباس.. لقد قال الله تعالى يذكر ذلك: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١).

سكت قليلاً يفكر، ثم قال: من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: ٢٣) انظروا كيف فصل الآية ووضحها حتى لا يقع الالتباس.

وهكذا في آيات كثيرة.. فلو أن عقاب البكر كان

مختلفاً عن عقاب الثيب، لوضحه ولنفي الغموض فيه.  
قال التلميذ: فحدثنا عن الآية الرابعة.. وما المشكلة  
التي تعالجها؟

قال الشيخ: هي قوله تعالى في حق المطلقات: ﴿لَا  
تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ  
مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾  
(الطلاق: ١)، فالآية الكريمة تنص على أن من حق  
المطلقة في فترة العدة أن تظل في بيت الزوجية، ولكنها  
تفقد هذا الحق إذا وقعت في الزنا، وحينئذ يكون من حق  
زوجها أن يطردها، ولكن بشرط أن تكون جريمة الزنا  
مثبتة حتى لا يتاح لزوجها أن يتجنى عليها بالباطل.

صاح بعض التلاميذ: الحمد لله.. لقد فتح الله علي في  
هذه الآية ما يؤكد قولك في حكم الرجم.  
قال الشيخ: ما شاء الله.. هات.. اذكر لنا ما فتح الله  
عليك به.

قال التلميذ: لقد وصف الله تعالى الفاحشة في الآية  
الكريمة بكونها (فاحشة مبينة) أي مثبتة، ضماناً لعدم  
الافتراء بلا دليل.. ومع ذلك لم ينص على الرجم.. بل

اعتبر عقوبتها الطرد بالإضافة إلى العقوبة الأساسية المحكمة، وهي مائة جلدة.

قال الشيخ: بورك فيك يا بني.. وهي تشير إلى ذلك كما ذكرت.

قال التلميذ: فحدثنا عن الآية الخامسة.. وما المشكلة التي تعالجها؟

قال الشيخ: هي قوله تعالى في ذكر عقوبة المطلقة إذا وقعت في الزنا بعد اتمام الطلاق: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ (النساء: ١٩)، وهي تعطي الحق للزوج أن يمنع من طلقها عن الزواج إلا أن تدفع له بعض ما أعطاه لها من الصداق بشرط أن تكون جريمة الزنا في حقها مثبتة بالدليل.

قال التلميذ: فحدثنا عن الآية السادسة.. وما المشكلة التي تعالجها؟

قال الشيخ: هي قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٣)، وهي تشير إلى عقوبة

اجتماعية أخرى تساهم في الردع عن الزنا.. فالمرأة  
الزانية أي التي لا تتوب عن الزنا لا يتزوجها المؤمن..  
ومثلها الزاني يمنع من الزواج من المؤمنة.  
قال التلميذ: فحدثنا عن الآية السابعة.. وما المشكلة

التي تعالجها؟

قال الشيخ: هي الآيات الكريمة التي وردت في حق  
الزوج إذا شهد على زوجته بالفاحشة، ولم يكن معه شهود  
آخرون، وقد ذكر الله تعالى التفاصيل الكثيرة المرتبطة  
بها في أربع آيات كريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ  
يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ  
أُحَدِّثُهُمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)  
وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)  
وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ  
الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ  
الصَّادِقِينَ﴾ (النور: ٦ - ٩).

انظروا كيف ذكر الله كل هذه التفاصيل.. حتى صيغة  
الشهادة ذكرها.. فكيف ترون عدم ذكره للرجم، وهو  
أخطر منها جميعاً؟



صاح تلميذ آخر: في هذه الآية أيضاً سيدي ما يدل على عدم وجود حد الرجم.  
قال الشيخ: فهاته.

قال التلميذ: لقد وصف الله تعالى عقوبة الزنا المرتبطة بهذه الحالة بأنها عذاب جسدي، فقال: ﴿وَيَذْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ (النور: ٨)، ولم يقل: (ويدراً عنها الرجم).. والعذاب الذي ذكره هو نفسه الذي نص عليه في أول السورة.. هو مائة جلدة.

قال التلميذ: فحدثنا عن الآية الثامنة.. وما المشكلة التي تعالجها؟

قال الشيخ: هي الآيات الكريمة التي تهدد زوجات النبي ﷺ أنه في حال وقوع الفاحشة منهن فإن العقوبة في حقهن مضاعفة.. أي تكون العقوبة مائتي جلدة في تلك الجريمة، أي ضعف ما على النساء الحرائر، وفي المقابل فلهن في عمل الصالحات ضعف ما علي المحسنات، قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَاْتُ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٠).

وهنا ترون أيضاً أن العقوبة لا يمكن أبداً أن تكون رجماً؛ لأنه إذا كانت عقوبة المتزوجات العاديات اللاتي ارتكين الفاحشة الرجم حتى الموت، فكيف يضاعف ذلك؟ قال التلميذ: فحدثنا عن الآية التاسعة.. وما المشكلة التي تعالجها؟

قال الشيخ: هي الآية الكريمة التي نصت على حكم الحراية والإفساد في الأرض، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣)، وهي تنطبق على كل إفساد في الأرض.

ومن أزدل أنواع الإفساد الاغتصاب، والإكراه على الفاحشة، وعقوبة هؤلاء هي أشد عقوبة أنزلها الله تعالى، وذكرها في كتابه.

بعد أن انتهى الشيخ من استعراض الآيات المرتبطة بالفاحشة، وكيفية علاجها لكل الحالات.. أذن لهم في قليل من الراحة..

## معاملة غير المسلمين:

ثم اجتمعوا من جديد، وأذن لهم في السؤال.. فقال أحدهم: ائذن لنا يا شيخنا أن أسألك عن آية قد رأيت أهل التعطيل يحرفونها تحريفاً شديداً.. نعم هم يقيمون ألفاظها غضة طريقة.. ولكن معناها غيره تماماً.. قال الشيخ: فاقرأها علي.

قال التلميذ: هي قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨).

قال الشيخ: فكيف عطلوها؟

قال التلميذ: لقد ذكروا في تعطيلها أقوالاً كثيرة، فمنهم من ذهب إلى أن هذا كان في أول الإسلام عند المودعة وترك الأمر بالقتال ثم نسخ.. ومنهم من ذهب إلى أنها مخصوصة في حلفاء النبي ﷺ ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه.. ومنهم من ذهب إلى أنها خاصة بخزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف.. ومنهم من ذهب إلى أنها مخصوصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا.. ومنهم من ذهب إلى أنها خاصة بالنساء والصبيان؛ لأنهم ممن لا

يقائل، فأذن الله في برهم.

قال تلميذ آخر: وحتى الذين لم يقوموا بتعطيلها مطلقاً عطلوها في مواضع كثيرة.. وقد حضرت البارحة مجلساً لأهل التعطيل ذكروا الآية، ثم قيدها بقيود كثيرة انحرفت بمعناها تماماً.. ومن ذلك ما حدثوا به عن شيخ يقال له محمد بن صالح بن عثيمين، قال: لا يجوز أن يبدأ أهل الكتاب بالسلام؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك؛ ولأن في هذا إذلالاً للمسلم حيث يبدأ بتعظيم غير المسلم، والمسلم أعلى مرتبة عند الله عز وجل؛ فلا ينبغي أن يذل المسلم نفسه في هذا..

وحدثوا عن آخر دعوته إلى اضطرار المخالفين إلى أضيق الطريق وجوانبها بحيث لا يمشون وسط الطريق، وذلك لإهانتهم وإظهار فضل المسلم وتقديمه على غيره.. وهكذا ظلوا يتحدثون إلى أن انقلب في ذهني مفهوم الآيات تماماً، فصارت وكأنها تأمرنا بالتماس كل السبل التي تؤذي المجاورين لنا من غير أهل ديننا.

قال الشيخ: الآية لا تحتاج إلى أي شرح أو تفصيل أو مزاحمة.. هي واضحة تماماً.. وقراءتها حكمها، وحكمها

قراءتها.

قال التلميذ: ولكن أهل التعطيل يقدمون غيرها عليها، فيعتبرونها متشابهًا، ويعتدرون المحكم هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الممتحنة: ١).

قال الشيخ: ولم يترخوا الآية، ولم يكملوها.. ألم يصف الله تعالى هؤلاء الذين يحرم علينا مودتهم بقوله بعدها: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ (الممتحنة: ١).. فالذين تحرم مودتهم هم المعتدون فقط.. وهو ما نص عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: ٩).

قال ذلك، ثم أخذ يرد بنقاصيل كثيرة دقيقة على التعطيل العظيم الذي ارتكبه الأمة في تاريخها وتراثها حول السماحة الإسلامية، والرحمة التي جاء بها رسول الله ﷺ.. والتي حولت الإسلام إلى دين عنف وإرهاب

همُّه التوسع العسكري، والسيطرة على الآخر، لا نشر الدين والقيم بالعقل والمنطق والحجة.

## التعطيل:

بعد أن خرجت من مدرسة التفعيل المتواضعة، وعرفت فيها بالأدلة الكثيرة أنه لا يوجد حرف في القرآن الكريم إلا وله دلالاته العظيمة التي تمس جميع جوانب الحياة.. ذهبت إلى المدرسة الثانية، والتي سمعتهم يتحدثون عنها كثيرًا، ويصفونها بكونها مدرسة التعطيل.. وقد كنت أتصور أنها مدرسة صغيرة حقيرة لا يرتادها إلا العوام والجهلة.. لكنني فوجئت بكبرها وضخامتها وكثرة طلابها وكثرة أساتذتها وشهرتهم.. حين رأيتها عرفت سر قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣)، فقد أخبر الله عن قلة الشاكرين الذين يفعلون نعم الله عليهم، ويستخدمونها استخدامًا صحيحًا.. وأكبر نعم الله على عباده هي كلماته الهادية، فلا تفعل أي نعمة من دون الاهتداء بهديها.

كانت المجالس في المدرسة كثيرة.. وأمام كل حلقة تلاميذ أكثر.. ولذلك لم أجد بدءًا من أن أجلس في أقربها

إلي..

كان أمام الشيخ كتبًا كثيرة، وكان كلما سئل عن سؤال أخذ واحدًا من تلك الكتب، وراح يشرح من خلاله.  
قال الشيخ: أظن أنني قد أجبتكم على هذه الآية..  
وذكرت لكم قول المفسرين من السلف الصالح فيها..  
وهي كافية لردع أولئك المبتدعة من أهل التفعيل والتزوير والتحوير.. الذين أرادوا أن يخضعوا القرآن لأهوائهم ناسين أنه لا يفهم القرآن إلا المفسرون الفطاحل من أهل التحقيق والتدقيق والتوثيق.

قال تلميذ من التلاميذ: فحدثنا عن قوله تعالى:  
﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).

قال الشيخ: هذه الآية منسوخة.. وقد قال النيسابوري:  
(نسخ ما فيها من عفو وصفح بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة: ٢٩)؟.

ثم صوب النظر إلي بشدة، وقال: لقد أمر المسلمون بهذا في بداية الإسلام عندما كانوا مستضعفين.. أما عندما

قروا فلم يبق هناك مجال للعفو أو الصفح.

قال تلميذ آخر: فما نقول في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَأَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (البقرة: ١٣٩)؟

قال الشيخ: هذه الآية أيضاً منسوخة، نسختها آية السيف<sup>(١)</sup>.. فما حاجة المسلمين إلى محاجة خصومهم ومجادلتهم وحوارهم بعد أن أمدهم الله بقوة السيف؟ فكفى بالسيف شافياً، وكفى بالسيف محاوراً.

قال تلميذ آخر: فما نقول في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠)؟

قال الشيخ: هي مثل أخواتها منسوخة، نسختها آية السيف<sup>(٢)</sup>، وقد قال النيسابوري فيها: (قوله ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، هذا كان في الابتداء، عندما كان الإسلام ضعيفاً).

قال تلميذ آخر: فما نقول في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص ٤٤-٤٥.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص ٦٥-٦٦.



فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴿البقرة: ٢٥٦﴾؟

قال الشيخ: مثل سابقاتها.. نسختها آية السيف<sup>(١)</sup>..

قال تلميذ آخر: فما تقول في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٢٠).

قال الشيخ: هذه الآية مثل سابقاتها منسوخة، نسختها آية السيف<sup>(٢)</sup>.. فلا منطوق أفضل من السيف.

قال تلميذ آخر: فما تقول في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦٣)؟

قال الشيخ: لقد ذكر علماؤنا أن هذا (كان في بدء الإسلام، ثم صار الوعظ والإعراض منسوخا بآية السيف)<sup>(٣)</sup>.

(١) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص ٩٦-٩٧..

(٢) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص ١٠٢-١٠٣.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص ١٣٥.

قال تلميذ آخر: فما تقول في قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣)؟  
قال الشيخ: لقد ذكر علماؤنا أنها (نزلت في اليهود، ثم نسخ العفو والصفح بآية السيف)<sup>(١)</sup>.

قال تلميذ آخر: فما تقول في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (المائدة: ٩٩)؟

قال الشيخ: هي مثل سابقاتها منسوخة، نسختها آية السيف<sup>(٢)</sup>.

قال تلميذ آخر: فما تقول في قوله تعالى في شأن رقة النصارى مقارنة باليهود: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢)؟

اعتدل الشيخ في جلسته مسرورا، وقال: هذا ليس عاما بكل النصارى، بل خاص بالنجاشي ووفده الذين أسلموا

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري، ص ١٥٠.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري، ص ١٥٢..

لما قدموا على النبي ﷺ وهم اثنان وثلاثون أو أربعون أو سبعون أو ثمانون رجلاً، وليس المراد كل النصارى؛ لأنهم في عداوتهم كاليهود<sup>(١)</sup>.

قال تلميذ آخر: فما نقول في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦١).

قال الشيخ: هي منسوخة بآية السيف<sup>(٢)</sup>.. فما حاجة المسلمين للسلام، وقد أعطاهم الله القوة التي يقهرون بها أعداءهم.

قال تلميذ آخر: فما نقول في قوله تعالى: ﴿ادْخُلْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)؟

قال الشيخ: لاشك أنها منسوخة، نسختها آية السيف<sup>(٣)</sup>.. فما حاجة المسلمين للحكمة والموعظة وقد منَّ

---

(١) قلاند المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن (ص: ١٠٠).

(٢) قلاند المرجان، ص ١٧٦-١٧٧.

(٣) قلاند المرجان، ص ٢١٠..

الله عليهم بنعمة القوة والعزة والتسلط.

قال تلميذ آخر: فما تقول في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٦).

قال الشيخ: نسختها آية السيف<sup>(١)</sup>.. وذلك واضح لكل عاقل.. فمن أعطاه الله القوة التي يقهر بها أعداءه لا يحتاج إلى أن يدفع بالتي هي أحسن.

قال تلميذ آخر: فما تقول في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (يونس: ١٠٨).

قال الشيخ: نسخ معناها لا لفظها بآية السيف<sup>(٢)</sup>.

قال تلميذ آخر: فما تقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: ٥٥).

قال الشيخ: هي الأخرى نسخت بآية السيف<sup>(١)</sup>.. وهو

---

(١) قلاند المرجان، ص ٢٣٥..

(٢) قلاند المرجان، ص ٢٥٢..

واضح لمن تأمله.. أليس الإعراض نوعاً من الضعف..  
 والمسلم قوي عزيز لا يحتاج أن يذل نفسه.  
 قال تلميذ آخر: فما نقول في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ  
 إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥)؟  
 قال الشيخ: لا أحتاج أن أقول شيئاً.. فهي مثل سابقاتها  
 منسوخة بآية السيف<sup>(٢)</sup>.. وهي واضحة لا تحتاج إلى  
 شرح يبين نسخها.

قال تلميذ آخر: فما نقول في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي  
 الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ  
 وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤)؟  
 قال الشيخ: هي منسوخة بآية السيف<sup>(٣)</sup>.

قال تلميذ آخر: فما نقول في قوله تعالى: ﴿فَلذَلِكَ فَادْعُ  
 وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ  
 اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا  
 أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالِكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

(١) المصدر السابق ص ٢٥٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٨.

(٣) السابق ص ٢٦٨.

وَالِيهِ الْمَصِيرُ ﴿الشورى: ١٥﴾.

قال الشيخ: هي منسوخة بآية السيف<sup>(١)</sup>.

بعد أن بقي مدة يجيب كل سائل يسأله بهذه الكلمات وأمثالها، سأله بعض التلاميذ قائلاً: إنا نرى - يا شيخنا - لآية السيف شأنًا.

قال الشيخ: أجل.. وقد قال الحسن بن فضل في فضلها: (نسخت هذه الآية كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء..)، وقال ابن حزم في كتابه الناسخ والمنسوخ: (في القرآن مائة وأربع عشرة آية في ثمان وأربعين سورة نسخت الكل بقوله: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ..)<sup>(٢)</sup>.

بعد أن انتهى الشيخ من حديثه، وبعد أن ألغى في وقت قصير كل ما دعا إليه القرآن الكريم من سماحة وسلام ولطف وأدب.. خرجت من المدرسة وأنا ممثلة ألمًا.. وأمام بابها وجدت تلميذين يختصمان، وحولهما جمع من التلاميذ، فتقربت منهما أبغي الإصلاح بينهما..

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٠.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص: ١٢)

قلت لأشدهما، وقد رأيته آخذاً بتلابيب صاحبه: دعه،  
فأنت تراه هزياً ضعيفاً لا يستطيع أن يقاومك.  
قال لي: ما دام كذلك.. فكيف يتجرأ علي، ويتحدث  
أمامي بما يسوؤني.  
قلت: لا بأس.. اعف عنه.. لقد أمرنا الله تعالى بذلك،  
فقال: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥).  
ترك تلابيب صاحبه، ومد يده إلى تلابيبي، وهو يقول:  
ويلك.. أتعمد إلى آية منسوخة تريد أن تجادلني بها..  
أذهب وإلا طبقت عليك آية السيف.  
ثم أطلق يدي، فأهرعت مسرعاً إلى بيتي، وأنا ألتفت  
خلفي كل حين خشية أن يلحق بي بسيفه.  
هذه قصتي مع المدرستين.. ولكم أن تختاروا بينهما.

محمد ﷺ

## فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	العلم والخرافة
٤	العلم
١٦	الخرافة
٣٢	المحكم والمتشابه
٣٣	المحكم
٤٦	ضوابط التعامل مع المتشابه
٥٠	المتشابه
٦٠	التفعل والتعطيل
٦٣	التفعل
٦٧	حل مشكلة الفواش في المجتمع
٨٣	معاملة غير المسلمين
٨٦	التعطيل
٩٦	فهرس الكتاب